الانتفاضة و«الصوت الآخر» في الادب العبري

فيصل قرقطي

كاتب فلسطيني

احدثت الانتفاضة الشعبية الفلسطينية، التي اندلعت في أواخر العام ١٩٨٧، هزّة عنيفة داخل المجتمع الاسرائيلي انعكست على النتاجات الفكرية والابداعية وغيّرت من النظرة العامة الى الفلسطينيين في المناطق المحتلة.

ولأول مرة خرجت أصوات احتجاج رافضة لممارسات الحكومة الاسرائيلية وتوجهاتها نحو الفلسطينيين، تجاوزت البكاء على الجندي الاسرائيلي، أو الاحتجاج بهدف حماية اسرائيل، الى قدر من تفهم معاناة «الآخر». ممّا جعل هذه الاصوات حالة مختلفة ومغايرة للافكار السائدة في المجتمع الاسرائيلي وظاهرة لها أسسها وتوجهاتها وملامح صوتها الخاص.

من المعروف ان اعوام الصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي الطويلة، وما تخلّلها من حروب، شهدت اشكالاً من الاحتجاج عبّرت عن نفسها في أعمال أدبية عارضت الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة، لكن منطقها الخاص ظلّ محكوماً بالرؤية الضيّقة التي تجنبت النظرة العقلانية الى الآخر.

فمنذ الاحتلال الاسرائيلي للضفة الفلسطينية وقطاع غزة وحتى اجتياح لبنان صيف العام ١٩٨٢، ظل التعبير الاحتجاجي في النصوص الادبية مجتزأ، ولم يرق الى مستوى تشكيل إطاره وصوته الخاص الذي يخوّله لأن يكون حالة متكاملة ذات اهداف مميزة واتجاهات متفردة.

غير انه، ومنذ اندلاع الانتفاضة، أخذت الاصوات الاحتجاجية تشكّل حالة مرجعية أدبية، وصوتاً متميزاً، كاتجاه واضح وصريح داخل الأدب العبري الحديث، لأن ردود فعلها اتجهت، أساساً، الى «الآخر» الفلسطيني، فبدت وكأنها ترى صورته لأول مرة.

من هنا، يحتل درس هذه الاصوات الادبية ومحاورتها على أرضية الجوامع المشتركة التي يطرحها الأدب عموماً، والأدب الاسرائيلي خصوصاً، أهمية خاصة، واستثنائية. ولذلك لا بدّ، أولاً، من العودة الى وراء، الى زمن تشكّل الصوت الادبي ذاته، منذ نشوء الحركة الصهيونية وصولاً الى مرحلة الانتفاضة، وهي المرحلة التي سيتم التركيز عليها، لتبيان مدى التأثير الذي أحدثته في المسارات الادبية وأشكال التعبير في المغاير لما هو سائد.

احتجاج بين مرحلتين

يعتبر الأدب المنبت الاساس الذي عاشت به، ونمت، وترعرعت الصهيونية السياسية التي